وقصة الأصوات العربية في انتخابات الكنيست تكاد تكون مشابهة لقصة أصوات اليهود الشرقيين، من حيث تهافت الأحزاب الاسرائيلية عليها والسعي إلى كسبها وإن اختلفت الوسائل لذلك؛ ولم يتغير هذا الوضع في الانتخابات الأخيرة[٦١]. وخلال العقد الأول لقيام إسرائيل، كانت هذه الأصوات، بأكثريتها، حكراً على الحزب الحاكم مباي، المسيطر على المناطق العربية بواسطة جهاز الحكم العسكري الذي كان يرسم ويحكم آنذاك في تلك المناطق. ولجأ مباي، لكسب تلك الأصوات، إلى أسلوب إقامة قوائم انتخابية عربية مرتبطة به كان يراعي، عند تشكيلها، ضم ممثلين محليين نافذين إليها، كان اختيارهم يتم على أساس طائفي، من مسلمين ومسيحيين ودروز، لجذب أكبر عدد ممكن من الأصوات العربية. وفي انتخابات الكنيست الأول (١٩٤٩)، اشتركت قائمة واحدة من هذا النوع، ثم ارتفع العدد إلى ثلاث قوائم في كل من انتخابات الكنيست الثاني (١٩٥١) والثالث (١٩٥٥) والرابع (١٩٥٩). كذلك اتجهت بعض الأحزاب الصهيونية الأخرى، وعلى رأسها مبام، إلى القيام بنشاط مماثل بين العرب، وإن تم ذلك على نطاق محدود. أما في الكنيست، فقد كان النواب العرب، الذين ينتخبون من قبل تلك القوائم، يعتبرون بمثابة قوة تصويت إضافية للأحزاب الحاكمة، دون أن تكون لهم حقوقها، مكتفين بالنزر اليسير من المنافع المادية أو المعنوية، التي تقدم لهم أو لناخبيهم، من قبل السلطة، من حين إلى آخر.

وفي مقابل هذه المجموعة من أحزاب السلطة أو المعارضة الصهيونية، والنواب العرب المرتبطين بها، وفي غياب أي حزب أو تنظيم عربي مستقل، على صعيد قطري، كان بإمكانه أن يتحول إلى ممثل للعرب، وهو ما عارضته السلطة بشدة دائماً، راح الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وهو الحزب غير الصهيوني الوحيد المسموح له بالعمل في اسرائيل قانونياً، والذي يضم أساساً أكثرية عربية، يلعب دور حزب المعارضة الرئيسي بين العرب[٦٢].

ومع ترسيخ سياسة الاضطهاد القومي، العلني أو المقنع، التي انتهجتها الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة، من جهة، وتنامي الوعي القومي وتعاظم المشاعر الوطنية لدى العرب في ضوء التطورات التي مر فيها العالم العربي وبروز الحركة الوطنية الفلسطينية مجدداً[٦٣]، من جهة أخرى، راح المزيد من الأصوات العربية يتجه، في الانتخابات، نحو القائمة الشيوعية؛ ولو تم ذلك، إلى حد ما، من قبيل الشعور بضرورة التصويت «ضد الحكومة»[٦٤]. ويتضح بجلاء من نتائج انتخابات الكنيست، في المناطق العربية الصرفة، خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة، أن النسبة التي حصل عليها الشيوعيون بين العرب، في كافة قطاعاتهم، كانت في ارتفاع مستمر، ووصلت في الانتخابات ما قبل الأخيرة سنة ١٩٧٧، إلى ما يزيد على النصف، بينما خفت، تدريجياً، النسبة التي حصلت عليها كافة الأحزاب الأخرى (أنظر الجدول رقم ٣).

وتجدر الاشارة، هنا، على هامش النشاط الانتخابي، إلى نشوء تيار جديد بين العرب نشط بشكل خاص منذ حرب تشرين، وراح دعاته، من أمثال جماعة أبناء البلد والحركة الوطنية التقدمية[٦٥]، يروجون علناً لفكرة مقاطعة الانتخابات وحث العرب على عدم